

عناصر برنامج تطوير قيادة سياقية

ينبغي إدماج المبادئ التعليمية التربوية السابقة في برنامج تطوير وتنمية لقيادة تضعه وتوجهه الكنيسة المحلية. يمكن لهذا التصميم أن يضم كلية اللاهوت وموارد أخرى كجزء من برنامج يعالج مواضيع دعوة القائد الراعي وقلبه ومهاراته ومعرفته. سيقود هذا النمط التعليمي المتعلمين بالبالغين في تطبيق ما تعلّموه على سياقهم وأوضاعهم الحياتية. سيتم نقل المعلومات إلى سياق وتحديات المتعلم، وستكون النتيجة التعلم العميق الذي يغير قلب القائد الراعي وعقله وأعماله. فيما يلي بعض الاقتراحات بشأن كيفية جعل التعليم والتدريب ملائمين لسياق الكنيسة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط العربي. من شأن التفكير بهذه القضايا أن يساعد الكنائس والقادة في أن يقرّروا بشأن أفضل طريقة لتطبيق وتغيير هذه المبادئ في سياقهم الفريد.

أن تكون الكنيسة بصفتها سياق التدريب

وكثيراً ما اعتمدت الكنيسة بقوة على كلية اللاهوت من أجل إعداد وتنمية قادتها، بحيث لم تخرط في هذا التدريب إلا قليلاً. تم استيراد هذا النمط في أماكن كثيرة من العالم، حيثما تجد الكنيسة الحاجة لإعداد قادتها. وحين يرتبط هذا مع المكانة التي ينالها الشخص بحصوله على درجة علمية في أماكن كثيرة، تتقوى فكرة كون كلية اللاهوت بصفتها الطريقة الرئيسية لإعداد القادة في تلك الثقافات (Fulton, 2016, 1). ولأسباب تتعلق بالمبادئ التعليمية التي درسناها (أهمية مخاطبة لا عقل القائد فقط، بل وطبيعته الأخلاقية ومهاراته أيضاً)، والاحتياجات السياقية في المنطقة (صعوبة الالتحاق بكلية لاهوت، كنائس المجموعات الصغيرة، وغيرها)، فإن أنماط التعليم - التدريب الحالية لا تعطي المكانة الكافية لدور الكنيسة في تدريب القادة الذين تحتاج إليهم.

تُخبرنا النماذج والأمثلة المأخوذة من تاريخ الكنيسة (أوريجانوس، أغسطينوس، كالفن، وسلي، وغيرهم) أنه ليكون الرعاة مُهيئين روحياً وعملياً لرعاية الكنيسة، ينبغي أن تكون كليات اللاهوت أكثر ارتباطاً بالكنيسة (Frame 2001; Nakah 2010). ضروري أن نفهم أن كليات اللاهوت موجودة لخدمة الكنائس. "... التدريب الرعوي مرتبط بصورة فريدة بخدمة الكنيسة المحلية" (Lausanne 2004, 222). ابتعاد أو انفصال الإعداد للخدمة عن الكنيسة يقود إلى تدريبٍ أكاديمي تجريدي ذي ارتباط بسيط بالخدمة العملية الفعلية، هذا إن كان هناك أي ارتباط. يقول فيكتور ناكاه (Victor Nakah) إن كليات اللاهوت غير ملائمة لتقديم المؤهلات والكفاءات الازمة للخدمة، وأنها بعيدة ومنفصلة وفكريّة بصورة زائدة (Nakah 2010). ينبغي لتدريب القادة الرعاة أن يكون مرتبطاً عن قرب بخدمة جسد الكنيسة المحلية. كما أنه ينبغي لتدريب وتنمية القادة الرعاة أن يكون أكثر ارتباطاً بخدمة جسد الكنيسة المحلية. كما ينبغي أن يكون تدريب وتطوير القادة الرعاة مدفوعاً وموجهاً من جسد الكنيسة المحلية. لا يعني هذا أنه ليس لكليات اللاهوت دور، إذ لها دور. ولكن الكنيسة هي التي تحدد المنهاج اللازم للتدريب، وليس كلية اللاهوت بصورة رئيسية. شدد القادة الإقليميون على أهمية الكنيسة في عملية تنمية وتطوير القادة. الكنيسة هي المكان الذي فيه يتعلّم القادة الشباب واقع القيادة وحيثياتها - خدمة الآخرين، النزاعات، التضحية لأجل الآخرين، وغيرها. كما أشار القادة إلى أن العلاقات في الكنيسة هي الباب الذي من خلاله تحصل الخدمة. وأن خدمة الناس في الكنيسة هي هدف القائد الراعي، في ينبغي أن يحصل التدريب في سياق الكنيسة. الكنيسة هي مكان الامتحان ومكان الدعم للقائد الشاب.

حكمة القادة الإقليميين، والتجارب المستقة من الكنيسة، سواء الكنيسة التاريخية أو الحالية، ومبادئ التعليم المثمر كلها تشير إلى أهمية حصول تنمية القيادة في سياق الكنيسة. تلعب كلية اللاهوت، أو أية برامج تعليمية رسمية أخرى، دوراً مهماً في هذه العملية، ولكن ينبغي أن تكون الكنيسة هي التي تبادر في هذه العملية وتقودها وتوجهها لينمو القائد الشاب في شخصيته وحياته الروحية، ومهارات الخدمة لديه، ومعرفته الملائمة لسياق الكنيسة التي يخدم فيها.

ومن أجل الحفاظ على ارتباط تدريينا بالكنيسة، مفيّد أن نفكّر ببعض الأمور والقضايا. فمثلاً، ما الذي تحتاج إليه كنيستنا في القادة، وكيف سنوازن بين مشاركة القادة الشباب في الكنيسة من جهة وفي كلية اللاهوت من جهة أخرى، وكيف يمكننا أن نربط ما نتعلّمه خارج الكنيسة بالخدمة الفعلية في كنيستنا. ينبغي التفكير بهذه الأسئلة وأسئلة أخرى من أجل الحفاظ على ارتباط التعليم والتدريب بالكنيسة.

أن يكون قريباً (سياقياً ومحلياً)

ثمة أسباب تاريخية وأسباب ترتبط بتعليم البالغين الكبار تدعم فكرة ألا تكون كلية اللاهوت الطريقة الرئيسية في إعداد القادة الرعاء لكنيسة الله. مؤكّد أنّ كلية اللاهوت دوراً، ولكن، كما سرّى، ليس الدور الرئيسي. ونضيف إلى هذا الأمر السياق الأمني الذي يؤثّر بالكنيسة في المنطقة باعتباره سبباً آخر لكون هذا النمط غير عملي. فلأنّ معظم سكان بلاد الشرق الأوسط العربي مسلمين، فليس تأسיס كليات اللاهوت الرسمية والحفظ عليها أمراً ممكناً دائماً. توجد أقلّيات مسيحية في مصر ولبنان والأردن، وتوجد كليات لاهوت في هذه البلاد تخدم السكّان المسيحيين. وفي شمال إفريقيا وأماكن أخرى، تمّ تأسيس كليات لاهوت صغيرة، وبطريقةٍ ما بدأت تُقبل على المستوى الرسمي في بلادها. كما أن القادة الذين يخدمون في كليات اللاهوت هذه يجدون أنّ أخذ القادة من سياقهم لفترات طويلة (سنة إلى ثلاثة سنوات) يؤثّر سلباً بشدة بقدرتهم على التأقلم في ثقافتهم وسياقهم حين يعودون إلى كنائسهم.

لا بدّ أنّ هذا سيكون مورداً قيّماً للكنيسة النامية في شمال إفريقيا. ستكون إحدى الميزات المباشرة لهذا الأمر قرب المؤسسة التعليمية من الطلاب الذي ينتسبون إليها. ومن شأن هذا أن يجعل الحصول على التدريب والتعليم الكتابيين واللاهوتيين الضروريين أسهل. ليس من شكّ في أنّ هذه المؤسسات سبب بركة للكنيسة. ولكن برغم هذه الإيجابيات، فإنّ الأسباب السياقية والتعليمية التربوية تحول دون أن تصبح هذه المؤسسات هي المكان الرئيسي لتعليم القادة الرعاء وتدرّيّهم. فينبغي أن يكون التدريب متوجّراً في المجتمع المحلي (Nakah 2010; Esterline et al 2013, 5).

بعض الأسئلة التي تتبع معالجتها: كيف يمكننا أن نبقي قادتنا مرتبطين بثقافتنا وسياقنا بينما يتعلمون؟ ما مدى ملاءمة محتوى التعليم ومنهجيته لثقافتنا؟ ما التعليم والتدريب اللذان يحتاج قادتنا الشباب إليهما لمعالجة شؤون وقضايا في ثقافتنا وسياقنا؟

أن يتم تطبيقه في المجتمع

كما أن ترك الشخص لسياقه من أجل الدراسة في كلية لاهوت لا يفضي إلى تهيئة كاملة للقادة الرعاعة، فإن الدراسة وحدها لا تفضي إلى هذا الغرض أيضاً. فالنمو يحصل بأفضل صورة في المجتمع. أعطى مخلصنا في نفسه نموذجاً على أهمية المجتمع في التعلم الذي يسمح بالتفاعل ما بين الأساتذة والطلاب (Frame 2001). ويؤكدّ الرسول بولس في ٢١ تيموثاوس : ٢ على أهمية المجتمع (أي وجود الآخرين) في تربية وتطوير القادة. يشمل هذا الانخراط الحاصل ما بين المدرب - المعلم والطالب (٢١ تيموثاوس : ٣، ١٠؛ فيلبي ٤ : ٩).

في الأصحاح الرابع من رسالة أفسس، يخاطب الرسول بولس جسد المسيح، الكنيسة. ويركّز مقطع الآيات ١٦-٩ على الكيفية التي يُبنى بها الجسد. وفي حديثه عن النمو "إلى قياس قامة ملء المسيح" (الآية ١٣)، ويختتم الرسول بولس كلامه بقوله إن جسد المسيح يبني ذاته. إنّه تفاعل ما بين الإخوة والأخوات في المسيح يجعلنا ننمو ونشابه المسيح (أفسس ٤ : ١٥-١٦). يقول الرسول بولس إنّ الجسد "يُحصل (يُسَبِّب) نمو الجسد لبنيانه في المحبة" (أفسس ٤ : ٦). حين يعمل الجسد معاً تنمو كل الأعضاء. هذه هي النتيجة الطبيعية لكون الشخص جزءاً من الجسد، ولعيش إيمانه في وسط الجسد حيث نرى مجد الله.

يؤكدّ الرسول بولس على هذه النقطة أيضاً في رسالته إلى الكولوسيين. فتحّ الرسول بولس إلى كنيسة كولوسي في الأصحاح الثالث موجّه إليهم بصفتهم "ختارى الله" (الآية ١٢). السياق الذي يخاطبه الرسول بولس سياق مجتمع. يقول إنّ عيشنا إيماناً في المجتمع هو ما يُنتج إيماناً يظهر في المجتمع (كولوسي ٣ : ١٢-١٧). ولذا، فإنّ عيشنا

إيماننا في المجتمع برأفة وصبر وغفران ومحبة نحو الآخرين يجعل سلام المسيح يملأ على قلوبنا، ويجعل كلمة المسيح تسكن فيينا، وهذا هو التغيير والتحول الروحيان. كما أن هذا يظهر في تعليم الآخرين وحثّهم، وفي عبادة الله بمزامير وتسابيح وأغانٍ روحية (كولوسي ٣: ١٢-١٧). يمكن لكلّ هذا أن يحصل في المجتمع. من خلال مجتمع الكنيسة نرى بصورة أفضل وأكمل حضور الله، ونتغيّر إلى صورة المسيح.

تنفيذ التدريب على القيادة في وسط الكنيسة المحلية يقيم مجتمعاً جاهزاً. تُعاش الروح الكتابية وسط الآخرين. في هذا المجتمع تُوجَد فرص للخدمة العملية في مجالات تعليم الآخرين، ورعايتهم والاهتمام بهم، والمصالحة معهم، وخدمتهم. تقدّم الكنيسة المحلية المجتمع اللازم لتطبيق ما يتم تعلّمه. إنّها المكان الذي فيه يتم تعليم القائد الراعي، ودعمه وسط الصراعات، وتقديم الأفكار والآراء المختلفة له بشأن ما يفعل.

يُدرك القادة في المنطقة أهمية المجتمع في تعميم وتطوير القادة. فالمجتمع يوّفر الدعم والتشجيع بينما القائد الشاب ينمو. ينبغي أن يكون هذا أمراً طبيعياً للقائد الشاب المُتّصّف بالجماعية والتّحور حول العلاقات. فالآخرون يوّفرون له الشركة والدعم والتصيحة والمواجهة والتعلّم عن كيفية التعامل مع الآخرين بصورة كتابية. المجتمع هو السياق الذي فيه "الحديد بالحديد يُحدَّد" (أمثال ٢٧: ١٧)، وحيث تتم مشاركة الأحمال. هنا تكمن أهمية التعلّم مع الآخرين، خاصة الذين هم في المرحلة نفسها ضمن عملية التطّور في الخدمة. نمّي الله القادة الإقليميين في سياق المجتمع، وهم كذلك ملتزمون بتدريب القادة بهذه الطريقة.

بعض الأسئلة التي تتبعها معالجتها: كيف يمكن لقائداً الشاب أو قادتنا الشاب أن يتعلّموا مع الآخرين؟ كيف يمكننا أن نزيد التفاعل الشخصي مع المعلّمين والمدربين (بمقابل دراسة مساق عبر الإنترنّت بصورة أساسية)؟ كيف يمكننا أن تكون جزءاً من مجتمعنا ومن مجتمع من القادة الآخرين كجزءٍ من عملية التدريب؟

دور المُشرف الموجِّه في تنمية وتطوير القيادة

لا يقدِّم المُشرفون الموجِّهون محتوى التطُّور في الخدمة فحسب، بل هم يقدِّمون أيضًا أنفسهم نموذجًا ويوجِّهون القائد الشاب في الكيفية التي يمكنه أن ينمو بها. إنَّهم يلعبون دورًا بالغ الأهمية في تعريض القائد الشاب للتعليم الفاعل والممارسات التدريبية. يستخدم المُشرفون هذه الممارسات لخير القائد النامي. إنَّهم يدعمون القائد النامي في سعيه إلى أنْ يتكَيَّف مع هذه الممارسات، وفي أن يصير لديه تقدير لهذه الممارسات بحيث يراها مفيدة لتطوره. يوجِّه المُشرف الموجِّه هذه العملية، ولكنَّه لا يتحكَّم بكل نواحيها وعناصرها. دور المؤمن الأكثَر نصَّجاً دور مهمٍ وحيوي في عملية التطُّور والتنمية. ويتأمِّل القادة الناضجون القادة الأصغر في كل نواحي الحياة والقيادة. تُولِّف عناصر الخبرة والمعرفة والتأمِّل وصياغة المفاهيم والتجربة فهم القادة لعملية التلمذة. دور المُشرف الموجِّه عنصر بالغ الأهمية في المهمَّة أو تطوير القيادة.

استفاد القادة من المُشرفين الموجِّهين الذي أُرسِلوا إليهم في الوقت المناسب. كان المُشرفون الموجِّهون قدوات أظهرت لهم كيف يخدمون. كان المُشرفون الموجِّهون أمثلة على الإيمان ساروا أمامهم في الرحلة ودعوهם للتقدم إلى الأمام. أعطى المُشرفون الموجِّهون القادة الشابَ منظورًا وساعدوهم في رؤية ما كان الله يعلمُه في وسط التجارب والمحن. فالُّمُشرفون الموجِّهون يساعدون في جعل التجارب والمحن والأخطاء مفيدة ونافعة للنَّمو.

ميَّز المُشرفون الموجِّهون مواهب القادة النامين ودعوتهم إلى الخدمة وأكَّدوها. دعموهم وشجَّعوهم حين تعثَّروا. وقدَّموا لهم تعليم الكتاب المُقدَّس بما يختصُّ بحياتهم والتحديات التي يواجهونها. ويُشَهِّد القادة الإقليميون على مركَّزية دور المُشرف الموجِّه في مساعدة القائد الشاب على النَّمو والتطُّور.

أسئلة تتبعِي معالجتها: مَنْ سيكون المُشرف الموجِّه الرئيسي للقائد الشاب أو القادة الشاب؟ مَنْ هو المُشرفون الموجِّهون الذين يمكنهم أن يُشرِّفوا على القادة الشاب في نواحٍ مختلفة (الناحية الشخصية، كيف يكرزون، كيف يرعون، وغيرها)؟ كيف يمكننا أن نجعل الحوارات العادلة مع المُشرفين الموجِّهين جزءًا من برنامجنا التدريبي؟

التحول حول كلمة الله في المحتوى والمنهجية

"أهم أمرٍ ينبغي أن يفعله التعليم اللاهوتي هو إعداد معلّمين رعاة لمسؤوليتهم الرئيسية، التي هي الوعظ وتعليم الكتاب المقدس" (Lausanne 2010, 222). يمكن لانفصال كلية اللاهوت عن الكنيسة أن يخلق انفصالاً غير صحيٍ ما بين المعرفة الكتابية اللاهوتية وتطبيقها على حياة المعلم الراعي وخدمته. حين لا يكون تدريب القادة الرعاة جزءاً من عمل كلية اللاهوت، ففي معظم الأحيان يتم هذا على حساب المعرفة العميقه لكلمة الله. كلمة الله هي الأداة الرئيسية التي يملكها المعلم الراعي (تيموثاوس 2: 15)، والوسط الذي به يغيّرنا الروح القدس (يوحنا 14: 26؛ 15: 26). والمعرفة العميقه الشاملة لكلمة الله ضرورية لدحض أكاذيب إبليس والتعليم المنحرف الزائف (لوقا 4: 8؛ أفسس 6: 17). هذه هي نقطة القوة فيما تقدّمه كلية اللاهوت.

ولكن حين يُنظر إلى كلية اللاهوت باعتبارها العنصر الرئيسي في إعداد المعلم الراعي، فقد يخلق هذا فجوةً بينَ ما يتم تعلّمه والتطبيق العملي في خدمة الناس وقيادة الكنيسة. التعليم والتدريب الكتابي يغيّران الذهن والقلب والقدرات. تدعو رسالة تيموثاوس الثانية 4: 14-16 إلى تطوير كاملٍ ومكتملٍ لكيان الشخص. تلعب برامج الدراسة والتعلم الرسمية، مثل كليات اللاهوت، دوراً مهماً في هذه العملية، ولكن هذه البرامج ليست مصمّمة لمعالجة كل النواحي الثلاثة في تربية وتطوير القائد. فالعلاقات والقدوة والممارسة والتطبيق أمور تتم بأفضل صورة في الكنيسة. وكما رأينا في أكاديمية كالفن، فإن التعاون ما بين الأكاديمية والكنيسة يقدّم أفضل نموذج لتطور وتنمية القيادة.

القادة الإقليميون واصحون بشأن كون الكتاب المقدس أساس إيماننا وممارساتنا. فإن أراد القائد أن يتصرّف بصورة سليمة، فعليه أولاً أن يعرف ما تقوله كلمة الله. عيش إيماناً وخدمنا العمليّة يعتمدان على كلمة الله. لا يعطينا الكتاب المقدس المعرفة عن يسوع المسيح فقط، بل ويقودنا إلى معرفة المسيح بصورة شخصية. يعطينا الكتاب المقدس الحكمة لعيش الحياة ومساعدة الآخرين في احتياجهم.

الأسئلة التي تبغي معالجتها: هل برامج التدريب التي نستخدمها مبنية ومؤسسة على الكتاب المقدس؟ هل قضايا التعليم والشخصية المسيحية والمهارات مستقاة من الكتاب المقدس أم من وجهة نظر عالمية ما؟ هل هدف التعليم والتدريب اللذين نستخدمهما التغيير الكاتب في ذهن وقلب وأعمال القائد (أو القادة) الذي ندربه؟

ملخص

يحصل التطور الناجح للقادة الرعاة في سياق الكنيسة بشراكة مع كليات اللاهوت أو المؤسسات التربوية اللاهوتية. كلية اللاهوت موجودة لخدمة الكنيسة. يلخص فيكتور ناكاه منهجيتنا بقوله إنه ينبغي للتدريب أن يكون "انخراطاً علمياً وبحيثياً، تستوطن جذوره في "تشكيل طبيعة وكفاءة متحورتين حول الملوك" ضمن سياق القائد (Nakah 2010).

ولمعالجة قضايا الشعور بالأمان والملاءمة التعليمية التربوية ونقص كليات اللاهوت وال الحاجة إلى وجود تدريب قريب من سياق الخدمة، فإنه يمكن تلخيص عناصر تدريب وتنمية القادة الرعاة بـ: أين ندرب؟ كيف ندرب؟ ما الذي يشتمل التدريب عليه؟

أولاً، المكان الرئيسي للتدريب والتنمية والتطوير (أين):

١. سياق محلي: تدريب قريب من السياق المحلي بقدر المستطاع
 ٢. متحور حول الكنيسة المحلية: الكنيسة هي هدف التدريب وسياقه
 ٣. أن يتم في المجتمع: أهمية الكنيسة والقادة الآخرين
- ثانياً، وسيلة التدريب والتطوير (كيف):
٤. القدوة: التفاعل بين المعلم والطالب (عبرانيين ١٣: ٨-٧ - تمثّلوا بالقادة؛ اتيموثاوس ٢: ٢؛ فيلبي ٤: ٩)
 ٥. الإشراف والتوجيه: أهمية تقديم الدعم للقادة الرعاة النامين
- ثالثاً، محظى التدريب والتطور (ماذا):
٦. كلمة الله - معرفة الكتاب المقدس، والتعامل مع كلمة الله بصورة صحيحة، والقدرة على التعليم

٧. تشكيل الطبيعة والشخصية: أهمية وأولوية القلب

٨. المهارات: الناحية العملية في التدريب على العمل

واضح أن السياق هو الذي يحدّد وسيلة التدريب على القيادة بطرقٍ عديدة. لدينا إيمان يمكن نقله إلى ثقافات وسياسات مختلفة. وحين ننقل تدريب القادة الرعاة إلى كنيسة الله ونكيف ونعدل وسائل تدريبهم، فإننا لا نريد أن نضيّع الجوهر الكتابي المتمثّل في المحتوى والطريقة. كما لا يمكننا أن نضيّي بمبادئ ثبتت فاعليتها في تعليم البالغين الكبار. فسيحترم كلّ برنامج مثلّ هذه المبادئ بأكبر درجةٍ ممكنة.